الأصوات غير اللغويَّة عند الطفل

(مقال مراجعة)

أ.م.د آية علي ناصر محمد

جامعة بغداد/ كلية التربية ابن رشد للعلوم الإنسانية/ قسم اللغة العربية

aya.ali@ircoedu.uobaghdad.edu.iq

المُلخّص

حظي موضوع اكتساب الطفل اللغة الأم باهتمام العلماء المشتغلين في علم النفس التطوريّ وعلم اللغة النفسيّ، ولهم فيه مؤلفات كثيرة وقفوا من خلالها على العمليات العقليَّة والجسديَّة التي يمرُّ بها الطفل في سنوات حياته الأولى حتى يتمكن من اكتساب اللغة، وقد أكدوا من خلالها أهميَّة النمو السليم للأعضاء الحسيَّة، ولاسيّما الحاسّة السمعيَّة، وسلامة الجهاز العصبيّ، إذ تُعدُّ سببًا مهمًّا في سلامة اللغة المكتسبة. وقد أبدى هؤلاء العلماء عنايتهم بمعرفة أهمِّ المظاهر الصوتيَّة التي ترافق رحلة اكتساب الأطفال للغة. غير أنَّهم لم يتمكنوا من تقديم التعليلات الصوتيَّة لكثيرٍ من هذه السلوكيات اللغويَّة التي رصدوها، ومنها معرفة علة ظهور بعض الأصوات قبل بعضها الآخر، ومن هنا تظهر أهمية الإفادة من معطيات الدرس الصوتيّ في تعليل تلك الظواهر.

الكلمات المفتاحية: (الأصوات غير اللغويَّة، مراحلها، شيوع الأصوات الصائتة).

Non-linguistic sounds in children

(Review article)

Dr. Aya ali naser

University of Baghdad/College of Education Ibn Rushd for Human Sciences/Department of Arabic Language

aya.ali@ircoedu.uobaghdad.edu.iq

Abstract

My topic on children's language acquisition has attracted the attention of scholars working in developmental psychology and patholinguistics. Their extensive publications have focused on the legal and physical processes a child undergoes in their early years before acquiring language. They have emphasized the importance of the proper development of sensory organs, particularly the sense of reading, but the nervous system, as it is directly involved in language development, is not the only factor

contributing to language integrity. These scholars have demonstrated their knowledge of the most important advances that accompany children's language acquisition. However, they have been unable to provide phonological explanations for many of the linguistic behaviors I have observed, including the reason for the preceding appearance of some sounds. This, in turn, underscores the importance of utilizing phonological study indicators to explain these phenomena.

Keywords: (non-linguistic sounds, their stages, the prevalence of vowels).

المقدمة

على الرغم من كثرة الدراسات اللغويَّة التي تناولتْ موضوع اكتساب الطفل اللغة الأُم وجدتُ اهتمامها قليلًا في جانب تعليل الظواهر الصوتيَّة التي ترافق هذه المرحلة، ويعني مصطلح (اللغة الأُم)؛ أوّلُ لغةٍ يتعلمها الطفل في بيئته، ويستعملها في حياته؛ ليحقق مِن طريقها الاتصال مع مَن يحيطون به.

ومن الطبيعي أن تكون بدايات هذا التعلُّم منقوصة يشوبها الانحراف والنقص والتشويه كون الجهاز النطقيّ لدى الطفل في هذه المرحلة ما يزال في طور النمو، فضلًا عن حاجته إلى التدرب مرارًا حتى يتقن النطق بأصوات بيئته.

ومن الاهميَّة بمكان الإشارة إلى أنَّ دراسة هذا الموضوع تندرج تحت علم حديث يسمى (علم اللغة النفسي)، هذا العلم الذي يُعنى على نحو أساسي بمعرفة العمليات العقليّة التي تمكِّن الإنسان من إنتاج اللغة، وتمكِّنه كذلك من إدراكها، وفهْمها. ويُعنى أيضًا بمعرفة الطريقة التي يكتسب فيها الطفل لغته الأُم(١). فالإنسان يكتسب لغته في مرحلة طفولته المبكرة، ويكتسبها في مدة زمنيّة قصيرة جدًّا. فجميع الأطفال العاديين يكتسبون اللغة التي يسمعونها من حولهم من دون تعليمات خاصّة، ويبدأون بالتحدث في الوقت نفسه تقريبًا، أو يمرون بمراحل تطور اللغة نفسها(٢).

مرحلة الأصوات غير اللغويَّة (Paralinguistic Period):

تبدأ هذه المرحلة منذ لحظة الولادة إلى عمر السنة تقريبًا، ينتقل فيها الطفل تباعًا من البكاء إلى الضحك، والهديل، والمناغاة، والبأبأة، وغير ذلك(٣).

إذ تستعد أعضاء النطق عند الطفل لأداء وظيفتها منذ لحظة الولادة، إلا أنَّ الأساس العضويّ الذي يُجيز اكتساب اللغة لا يكتمل "إلا بعد أن يبلغ تطور القشرة المخيّة عنده حدها الأدنى حوالي السنة الثانية من العمر"(٤) لذلك لا يستطيع الأطفال مباشرة الكلام بعد الولادة دفعةً واحدةً، وإنما يتحقق اكتساب اللغة بعد مرور الطفل بمراحل تتطور فيها الإمكانيات العضويّة تدريجيًا حتى يتمكّن الطفل في نهاية المطاف من اكتساب لغته الأُم، وممارستها كما يفعل الراشدون(٥).

ومن الجدير بالذكر أنَّ الأصوات التي تصدر عن هذه المرحلة لا تتأثر بالبيئات التي ينشأ فيها الطفل، فمثلًا الأطفال الصم يبكون ويهدلون ويهذون بالطريقة نفسها التي يهذي بها الأطفال العاديون (٦)، لأنَّ أصوات هذه المرحلة فطريّة، غريزيّة، تصدر بطريقة تلقائية، مُعبِّرةً عن الحالة الجسميّة والنَّفسيَّة عند الطفل، وهي لا تحمل أي معنى لغويّ مقصود(٧)، إلا أنَّ هذه الأصوات تكون في غاية الأهميَّة؛ لأنَّها تمثِّل المقدمة الطبيعيَّة، والمرحلة الزمنيَّة والفسيولوجيَّة اللازمة لاكتساب الطفل للغة الأُم، إذ يتم فيها بناء أصوات (فونيمات) الكلمات اللغويَّة (المورفيمات) في جميع اللغات، وتكوينها، وإنتاجها(٨).

مراحل الأصوات غير اللغويَّة:

ويمكن تقسيم مرحلة الأصوات غير اللغويَّة عند الطفل على:

- **مرحلة الأصوات الوجدانيَّة:** تظهر عند الأطفال في صورة أصوات انفعاليَّة غير مقطعيَّة تتمثل بلغة الانفعالات كالصُّراخ، والصِّياح غير الإراديّ، والإراديّ(٩)
- **مرحلة التمرينات النطقيَّة:** تظهر عند الطفل في صورة تتابعات صوتيَّة مقطعيَّة منظَّمة، ذات نغمة موسيقيَّة، تتبادل فيها الأصوات الصامتة والصائتة(١٠).

وتمثل اللغة الوجدانية المرحلة الأوّلية في سُلَّم اكتساب الإنسان للغة. وعلى الرغم من انحسارها فيما بعد تبقى مرافقةً له مع تقدُّمه في العمر، معبرةً عن حالات الغضب، والحزن، والارتباك، والفزع، وغير ذلك.

وقد اتفق علماء وظائف الأصوات على أنَّ الصُّراخ هو الصوت الأوّل الذي يصدره الطفل(١١) . إلا أنَّ أساس هذا الصوت فسيولوجيّ محض؛ فهو الدليل على بدء الرئتين في القيام بوظائفها، وأنَّه لا يحمل إي دلالة لغوية(١٢). إلا أنَّ للصراخ وظائفَ أُخرى لكنَّها تأتي عرضيَّة، غير مقصودة ؛ فهو يساعد الطفل على تمرين حباله الصوتيَّة، ويساعده في التحكم بجهازه النطقيّ، وذلك بتعويد عضلات النطق على إصدار الأصوات، وصقلها، وتطويرها، ويساعده على تنمية قدراته السمعيَّة، والنطقيَّة على حدٍ سواء(١٣).

شيوع الأصوات الصائتة عند الطفل:

تشير الدراسات العلميَّة إلى أنَّ أصوات المدِّ في مرحلة الصُّراخ أكثر ظهورًا مِن الأصوات الصامتة(١٤)، وتبلغ نسبة ذلك في الشهر الأوّل من عمر الطفل(١:٥)، وتشير أيضًا إلى أنَّ أشيع الصوائت ظهورًا عند الصراخ هي صوت الألف:(آ- ا)(١٥).

ولعلَّ ظهور صوت المد (آ) في صراخ الطفل أكثر من بقية الصوائت سببه أنَّ صوت الألف يكون حرف مد دائمًا(١٦)؛ لذلك يستطيل ويمتد أكثر من بقية الصوائت، وهذا الأمر منحه قوةً تصويتيةً، ووضوحًا سمعيًّا أكثر مِن غيره مِن الصوائت، وقدرةً على الإسماع لمسافات بعيدة، مع جهد عضليّ أقل، وكل ذلك يخدم غريزة البكاء عند الطفل التي تحتاج إلى الاستمرار بهذا السلوك بأعلى صوت، وأقل جهد، حتى تتم الاستجابة له. وممّا يؤيد صحة ذلك ما ذهب إليه بعض علماء الأصوات مِن أنَّ الفونيمات الطويلة المتحركة تشتمل على تعبيرات للانفعالات المختلفة، فألف المد الطويل -الذي يظهر في بكاء الطفل- يستعمل للتعبير عن عدم الرضا، والألم، والاستغاثة(١٧).

وفي مرحلة التمرينات الصوتيَّة تتحوّل الأصوات عند الطفل في هذه المرحلة إلى مقاطع مركبة مِن صوت الصامت وآخر صائت مِن دون أنْ تكون لها دلالة مقصودة. وتَصدُرُ هذه الأصوات نتيجة ميل الطفل الفطريّ إلى اللعب بالأصوات، وتحريك أعضاء النطق عنده(١٨).

وقد سبقت الإشارة إلى أنَّ أصوات المدِّ تسبق في ظهورها الأصوات الصامتة، وليس في ذلك خلاف. إنما الخلاف في ترتيب ظهور الأصوات الصامتة عند الطفل. إذ تشير كثير من الدراسات إلى أنَّ الأصوات الشفوية (ب-م) ليست أوّل ما يظهر من الأصوات الصامتة على ما

هو سائد. وإنما تظهر قبلها الصوامت الحلقيَّة (ع–ح) (غ–خ) واللهويَّة (ق–ك) والحَنجريَّة (ء–هـ). وتليها الصوامت الشفويَّة (ب–م) والأسنانيَّة التي تظهر بعد بروز أسنان الطفل مثل (ت–د–ز–ث)(١٩). وقد ذكرت عالمة النفس (مكارثي) أنَّ علَّة أسبقية ظهور الأصوات البلعوميَّة عند الطفل؛ هي ارتباطها بعمليات البلع أو إخراج الغازات من المعدة بعد تناول الطعام(٢٠)، وهذا الأمر يُسْهم في تقوية العضلات المسؤولة عن إنتاج هذه الأصوات. في حين يتأخر ظهور الأصوات الأمامية؛ لاتصالها بعمليات طلب الطعام وتوقعه، وهذه العملية تتأخر بضعة أسابيع قبل أنْ يأتي على الطفل وقت يُدرك فيه أنَّ به حاجة إلى الطعام، وأنَّ إخراج الأصوات الأمامية ينفعه في طلب الطعام(٢١).

وقد استعمل العلماء لوصف هذه المرحلة مصطلح: (الاكتساب والارتقاء الفونيميّ (Phonemic)) وهو يُشير إلى بروز الفونيمات غير اللغويَّة، التي تخرج من الطفل قبل بلوغه عمر السنة تقريبًا(٢٢).

فالطفل يبدأ باختبار جهازه النطقيّ من طريق إصداره أصواتًا تمثل فونيمات اللغة التي يتعلمها. وقبل اكتساب الطفل لغته الأُم عليه أنْ ينتبه، ويستمع إلى الأصوات التي يصدرها هو ويصدرها الآخرون من حوله. إذ يُكرّرُ الطفل مجموعة من الأصوات في هذه المرحلة، والتكرارات الصوتيَّة تمثل سمة صوتيَّة بارزة في هذه المرحلة، على أنَّ الأطفال لا يتعلمون اللغة بمجرد استماعهم إلى كلام الآخرين، بل بسب كونهم جزء من الحدث اللغويّ نفسه، ولهذا الأمر أهمية كبرى تتمثل في أنَّ الطفل يتعود على النطق بالأصوات التي يسمعها، وتشكيلها بصورة غير مقصودة، إذ يتعلم الطفل من خلال ذلك مؤازرة حركات الأعضاء (اللسان– والشفتين– والوترين الصوتيين) مع الحَنجرة(٢٣).

الخاتمة

ننتهي مما سبق ذكره إلى أنَّ التدرّج أبرز سمة تتماز بها مرحلة ظهور الأصوات غير اللغويَّة عند الأطفال، فهم يتدرجون في منطوقاتهم من الأسهل إلى الأصعب، فيبدؤون بالأصوات

الأسهل نطقًا، والأقل جهدًا، والأكثر تصويتًا، فتظهر الصوائت أولًا، ثم ينتقلون تدريجيًا إلى النطق بالأصوات الصامتة؛ فيبدؤون بالأصوات الحلقيَّة (ع–ح) (غ–خ) واللهويَّة (ق–ك) والحَنجريَّة (ء–هـ)؛ لارتباطها بالعمليات الفسيولوجيَّة كالبلع وإخراج الغازات من المعدة، وتظهر كذلك الأصوات الشفويَّة (الباء والميم)، والأسنانيَّة (ت–د–ز–ث) التي تظهر مع بروز الأسنان العليا عند الطفل.

الهوامش:

(١) ينظر: اضطرابات اللغة والكلام ٤٢.

(٢) ينظر: اللغة واللغويات ٢٣١.

(٣) ينظر: سيكولوجية التطور الإنساني من الطفولة إلى الرشد ٢٣٧.

(٤) المحصول اللفظي وعلاقته ببعض المتغيرات لدى أطفال الصف الأول الابتدائي، رسالة ماجستير ٩.

(٥) ينظر: اكتساب اللغة الثانية ٥٣، وأساسيات علم الكلام ٢٢–٢٣.

(٦) ينظر: اللغة واللغويات ٢٣٢.

(٧) ينظر: المفاهيم اللغوية عند الأطفال ١٩٩، والنمو اللغوي عند الطفل ١٦.

(٨) ينظر: أطلس أصوات اللغة العربية ١٠٥.

(٩) ينظر: اطلس أصوات اللغة العربية ١٤١٤، وعلم اللغة، علي عبد الواحد وافي ١١٩.

(١٠) ينظر: اطلس أصوات اللغة العربية ١٤١٥، وعلم اللغة، علي عبد الواحد وافي ١٢٣.

(١١) ينظر: اللغة وعلم النفس ١٤١، وعلم اللغة النفسي، العصيلي ٢٢٠.

(١٢) ينظر: علم اللغة النفسي، عبد المجيد سيد ٧٧.

(١٣) ينظر: النمو اللغوي عند الطفل ١٠، وعلم اللغة النفسي، عبد المجيد سيد ١٧٣.

(١٤) ينظر: علم اللغة، علي عبد الواحد وافي ١٣٠.

(١٥) ينظر: بزوغ وارتقاء اللغة ٨٠–٨١.

(١٦) ينظر: علم الأصوات، بشر ٤٣٥.

(١٧) ينظر: أطلس أصوات اللغة العربية ١٤٣٤.

(١٨) ينظر: بزوغ وارتقاء اللغة عند الطفل ٨٦–٨٧، وسيكولوجية اللغة والتنمية اللغوية لطفل الرياض ٤٨.

(١٩) ينظر: سيكولوجية اللغة والتنمية اللغوية لطفل الرياض ٤٨، وبزوغ وارتقاء اللغة عند الطفل ٩٠.

(٢٠) ينظر: بزوغ واتقاء اللغة عند الطفل ٩٠.

(٢١) ينظر: بزوغ وارتقاء اللغة عند الطفل ٩٠.

(٢٢) ينظر: سيكولوجية اللغة والمرض العقلي ١٠٣.

(٢٣) ينظر: سيكولوجية اللغة والمرض العقلي ١٠٤، وسيكولوجية اللغة والتنمية اللغوية لطفل الرياض ٤٨.

المصادر

١- الظاهر، قحطان أحمد، (٢٠١٠)، اضطرابات اللغة والكلام، ط١، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.

١٠- وافي، علي عبد الواحد، (٢٠٠٤)، علم اللغة، ط٩، نهضة مصر للطباعة، والنشر، والتوزيع.

١١- الحمداني، موفق، اللغة وعلم النفس، دراسة للجوانب النفسية للغة، طُبِع بمطابع مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل.

١٢- العصيلي، عبد العزيز بن ابراهيم، (١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م)، علم اللغة النفسي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

١٣- منصور، عبد المجيد سيد، (١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م)، علم اللغة النفسي، ط١، منشورات عمادة شؤون المكتبات، جامعة الملك سعود، الرياض.

١٤- الشماع، صالح، (١٩٦٧)، بزوغ وارتقاء اللغة عند الطفل من الميلاد إلى السادسة، مطبعة الحداد، العراق، البصرة، ساعدت جامعة بغداد على نشره.

١٥- بشر، كمال، (٢٠٠٠)، علم الأصوات، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.

١٦- رفقي، محمد، (١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م)، سيكولوجية اللغة والتنمية اللغويَّة لطفل الرياض، ط١، دار القلم للنشر، والتوزيع، جامعة الكويت.

١٧- يوسف، جمعة سيد، (١٤١٠هـ- ١٩٩٠م)، سيكولوجية اللغة والمرض العقلي، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، عالم المعرفة، العدد خمس وأربعون ومئة، يناير، كانون الثاني.

٢- لوينز، جونز، (١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م)، اللغة واللغويات، ط١، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.

٣- علاونة، شفيق فلاح، (٢٠١٠)، سيكولوجية التطور الانساني من الطفولة إلى الرشد، ط٣، دار المسيرة للنشر، والتوزيع، والطباعة، عمان، الأردن.

٤- لموزه، أشواق سامي جرجيس، (١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م)، المحصول اللفظيّ وعلاقته ببعض المتغيرات لدى أطفال المتغيرات لدى أطفال الصف الأول الابتدائي، جامعة بغداد، كلية التربية للبنات، قسم علم النفس.

٥- سلينكر، لاري، م. جاس، سوزان، (١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م)، اكتساب اللغة الثانية، مقدمة عامّة، ترجمة الدكتور ماجد الحمد، جامعة الملك سعود للنشر العلمي والمطابع.

٦- بوردن، جلورياج، س. هاريس كاثرين، اساسيات علم الكلام، تحقيق الدكتور محيي الدين حميدي، دار الشرق العربي، بيروت، لبنان.

٧- زهران وآخرون، حامد عبد السلام، (٢٠٠٧)، المفاهيم اللغوية عند الاطفال أُسسها، مهاراتها، تدريسها، تقويمها، ط١، دار المسيرة للنشر، والتوزيع والطباعة، عمان، الأردن.

٨- أحمد، عطية سلمان، (١٩٩٣)، النمو اللغوي عند الاطفال دراسة تحليلية، دار النهضة العربية.

٩- البيه، وفاء محمد، (١٩٩٤)، أطلس أصوات اللغة العربية، موسوعة عربية تشريحية- فسيولوجية- نطقية- صوتية- لغوية- تعليمية- علاجية، ط١، الهيئة المصرية العامة للكتاب.